تابع ل :

آثار العمل بالدويات
على الحياة
الأسرية والإجتماعية للعامل

د. بوظريفة حمو

أستاذ الهندسة البشرية

معهد علم النفس وعلوم التربية

آثار العمل بالدوريات على الحياةالأسرية والإجتماعية للعامل.

د. بوظريفة حمو

أستاذ الهندسة البشرية

معهد علم النفس وعلوم التربية

الحياة الأسرية.

على الرغم من مزايا العمل بنظام الدوريات سواء على الناحية الإقتصادية أو التكنولوجية وما إلى ذلك من إنعكاسات على الوضعية الإجتماعية للمواطنين بصفة عامة وتحسن الحالة المادية للعامل بالدوريات وأسرته بصفة خاصة، إلا أن مواقيت هذه الدوريات قد تؤدي إلى إضطرابات في الساعات والأوقات المعتادة لمختلف نشاطات الأسرة. يرجع السبب في هذا إلى ميزة هذا التنظيم المتصلبة عندما يتعلق الأمر بتنظيم الأكل وصعوبة تأقلم العامل معها لتناول وجباته مع الأسرة. إذ غالبا ما يجد العامل نفسه مجبرا للإختيار أمام أمرين كلاهما صعب : فإما أن يلتزم بمواعيد الأسرة، وإما أن يحاول تكييفها لوتيرة الدورية التي يعمل بها، ناهيك عن إمكانية لجوئه إلى الإنفراد بعيدا عن جو الأسرة ومختلف نشاطاتها.

على العموم، يصعب على العامل تفادي مختلف المشاكل والصعوبات التي يطرحها نظام العمل بالدوريات على مستوى العلاقة الزوجية بصفة خاصة والحياة الأسرية بصفة عامة. وتزداد هذه الصعوبات إذا كان كلا الزوجين يعمل، وخصوصا إذا كان الإثنان يخضعان لنظام العمل بالدوريات ولا تسمح ساعات العمل بلقائهما كثيرا أو إطلاقا، مما يزيد المشكلة حدة سيّما بالنسبة للزوجة لكونها تحتاج كذلك إلى تحمل عبء الأشغال المنزلية وخلق نوع من الإستقرار العائلي

(ماكدونالد ودويل، 1981، MCDONALD et DOYLE). في هذا الجو يصعب تنظيم العلاقة الزوجية بالإضافة إلى تقسيم وبرمجة مختلف الأوقات بين الزوجين بخصوص مختلف الشؤون المنزلية ؛ ناهيك عما يمكن أن يخلفه نظام العمل بالدوريات على الحياة الإجتماعية للأسرة بصفة عامة والحياة الجنسية للزوجين بصفة خاصة (فيو وكايار ، 1980، Vieux et Cail-lard) خاصة إذا العامل كان يقضي عطلته الأسبوعية في البيت في الوقت الذي تكون زوجته تعمل بالدوريات.

بهذه الكيفية تصعب برمجة أوقات خاصة برعاية الأطفال والقيام بمختلف الأعمال اليومية، وكذلك تنظيم وتحضير وجبات الأكل وعمليات التنظيف. إذ غالبا ما تجد الأسرة نفسها مضطرة لإدخال تعديلات كثيرة على حياتها اليومية، وكأنها بذلك تمر بحالة طوارىء لكثرة التغيرات التي تطرأ على برامجها من يوم لآخر. مما يتسبب في عدم الإستقرار اليومي في حياة الأسرة. فعلى سبيل المثال، قد تسرف في الإعتماد على المأكولات الخفيفة، وتلجأ إلى الإستعانة بالمساعدات الخارجية سواء للإعتناء بالأطفال أو شؤون المطبخ ونظافة البيت. وبغض النظر عن التكاليف المادية التي قد تثقل كاهل الأسرة أكثر فأكثر. وقد يصعب على الزوجة أو حتى من يساعدها القيام بأشغال البيت عندما يكون العامل نائما نهارا. أضف إلى ما سبق أن هذا الحضر قد يشمل لعب الأطفال وأنواعا أخرى من نشاطات أفراد الأسرة. ومهما إتخذ من إجراءات يبقى العامل يعاني من صعوبة الحصول على النوم والراحة، الأمر الذي قد يخلق جوا أسريا متوترا (شازلات، 1973، Chazalette).

لعل ما يزيد الصعاب إستفحالا أن دور الأب في السهر على تربية أولاده قد يتقلص إلى درجة كبيرة، بل وقد يتضاءل دور الأم كذلك، مما قد يؤدي إلى نقص الإتصال على مستوى الأسرة، ويزيد في إستقلالية الأطفال، وقد ينتهي الأمر بظهور بعض أشكال الإنحراف لديهم، الأمر الذي يجعل العامل يشعر أن العمل بنظام الدوريات لا يسمح له بالقيام بدوره وتأدية واجباته إتجاه مختلف أفراد أسرته. مما يولد لديه حالة من الإحساس بالنقص قد تنجر عنها إنعكاسات على حالته العضوية وتصعب من مهمة تقبله لنظام العمل بالدويات (الجمعية الوطنية لظروف العمل، 1986، ANACT).

علاوة على ما سبق ذكره يطرح النوم وما يرتبط به من إزعاجات للعامل وذويه صعوبة إضافية، فنهوضه أو قدومه مّبكر للعمل قد يزعج أفراد الأسرة. وقد يحدث العكس عند عودته من العمل بدورية الليل ليبدأ مرحلة نومه في وقت يستعد باقي أفراد الأسرة للنهوض ومباشرة النشاط اليومي. مما يساعد على ظهور توترات وصراعات وخلافات سواء على مستوى العلاقة الزوجية أو

الحياة الأسرية ككل. بناء على هذه المعطيات، فقد إقتحمت المشاكل الفيزيولوجية والنفسية للعمل الليلي الحياة العائلية، والإجتماعية للعامل، ناهيك عن حياته المهنية. الأمر الذي يمهد لعزلته الإجتماعية كأن يشعر بالصعوبة في إقامة علاقات حتى مع أفراد أسرته (كاربانتي وكازاميان، 1977، Carpentier et Cazamian).

تلعب الظروف الفردية لكل عامل دورا هاما في التخفيف من آثار العمل بالدوريات على حياته الأسرية. فإذا كان لديه عدد كبير من الأطفال ويملك سكنا ضيقا يقع في مكان أو شارع غير هادىء، الأمر الذي لا يسهل من مهمته في الحصول على القدر الكافي من النوم والراحة خصوصا أثناء النهار. ويرى موريس (1976) Maurice، أن هناك بعض العوامل التي يمكنها أن تقلل من آثار نظام العمل بالدوريات على الحياة الأسرية للعامل، مثل ظروف السكن، عدد أفراد العائلة، عمل الزوجة، عمل الأولاد، المسافة بين البيت ومكان العمل، وسائل النقل، إلخ. بالإضافة إلى ما إذا كان العامل متزوجا أم عازبا، له أطفال أم لا، ومدى تقبل زوجته للعمل بالدوريات، وما إذا كان العامل نفسه راضيا عن عمله أم لا.

وجد في دراسة عن عمال الدوريات (3x8)، أن 74 ٪ من المتزوجين 45 ٪ من العزاب يشتكون من الإضطرابات التي يتسببون فيها لعائلاتهم. أما زوجاتهم فيشتكين من إستحالة نسج علاقات ودية مع الناس في السهرات الفنية ومختلف المناسبات والحفلات، وإضطراب العلاقة الزوجية، زيادة عن الصعوبات في تنظيم مختلف الشؤون العائلية (أوليتش، 1967، Ulich). أما براون (1957) Brown، فقد توصل إلى أن الزوجات يفضلن أن يتم عمل أزواجهن في الصباح لأن ذلك يمكنهن من القيام بأشغالهن المنزلية والإعتناء بأولادهن، وهو ما لا يمكن تحقيقه إذا كانوا يعملون مساءا أو ليلا لينا موا في الصباح الشيء الذي يدفع بالزوجات إلى السهر على عدم إزعاجهم، بالإضافة إلى تحديد نشاط الأطفال في ظل أوقات النوم لتفادي الضوضاء. كما وجد براون (1957)،Brown، بأن الزوجات ملتزمات بتغيير التنظيم الخاص بالحياة الأسرية على الأقل بعد كل ثلاثة أسابيع. ومن بين العمال الذين يكرهون العمل بنظام الدوريات أولئك الذين لا تقبل زوجاتهم البقاء لوحدهن في المساء أو بالليل (دولامار وولكار، 1968، De la Mare et Walker).

يمكن أن تتأثر الحياة الزوجية، هي الأخرى، بنمط الدوريات ومدة دورانها سيّما الدورية الليلية، حيث تتحول هذه العلاقة إلى زواج في نهاية الأسبوع (ماكدونالد ودويل، 1981، McDonald et Doyle). إذ وجد أن العمال يتضايقون من عائلاتهم أكثر من ميادين الحياة الأخرى، وتختلف درجة هذا الإنزعاج أو التضايق وفقا لشكل الدورية. حيث توصل موريس ومانتايل

Maurice et Monteil (1965)، إلى أن 56 ٪ من العمال ينزعجون في نمط الدوريات (8x2)، و62٪ في النصف المتواصل، و75 ٪ في النمط المتواصل من الدوريات علما أن 50 ٪ يشتكون من هذا النمط الأخير لإنعدام الراحة الأسبوعية في نهاية الأسبوع وفي أيام الأعياد الوطنية والدينية ليتمكنوا من الإتصال بكل أفراد الأسرة والأقارب والأصدقاء طيلة اليوم. ولإنه لا يمكن تناول وجبتين مع العائلة إلا في حالة دورية الليل من النمط (8x3)، وهذا في 45 ٪ من الحالات فقط. وبطبيعة الحال يتطلب هذا الأمر من العامل قطع نومه حتى يتمكن من تناول وجبة الغداء، أما الدورية المسائية، فإن أكثر من ربع العمال بها لا يستطعون تناول الوجبات مع الأسرة.

2. آثار العمل بالدوريات على الحياة الإجتماعية :

إذا كان من الممكن إدخال تعديلات داخلية على الحياة العائلية لتسهيل عملية التكيف لدى عمال الدوريات والتقليل من تأثير هذه الأخيرة على الحياة الأسرية، إلا أنه يستبعد تحقيق هذا الإنجاز بالنسبة للحياة الإجتماعية. لأن عمال الدوريات يواجهون مشاكل وصعوبات في تكوين العلاقات الإجتماعية والمحافظة عليها. يرجع السبب في هذا أساسا إلى عدم توافق أوقات العمل والراحة لعمال الدوريات سواء مع بقية العمال بصفة خاصة أو أفراد المجتمع بصفة عامة. الشيء الذي يوحي إلى العمال أنهم معزولون إجتماعيا. والتي قد تكون بعض الفئات العمالية أكثر عرضة لها، خصوصا الشباب والعزاب وأولئك الذين يعيشون لوحدهم. وهذا لكون معظم النشاطات الإجتماعية عادة ما يتم تنظيمها وفقا للحياة المهنية العادية بما في ذلك أوقات التسلية والنوم.

ينطبق هذا خاصة على عمال الدوريات من النوع (8x3) المتواصل، الذين لا يستطيعون الحصول على الراحة في نهاية الأسبوع أو خلال الأعياد والمناسبات الوطنية والدينية. بل وحتى هذه الراحة الأسبوعية التي عادة ما تكون في أيام الأسبوع العادية في الوقت الذي يكون فيه باقي أفراد المجتمع في العمل، لا تتكرر في نفس اليوم من أيام الأسبوع. الأمر الذي يصعب من مهمة العامل في برمجة نشاطاته أو إتصالاته الإجتماعية أو غيرها.

ولما كان عدد العمال بالدوريات قليلا بالمقارنة مع بقية العمال، ويعملون خلال أوقات راحة الآخرين، فإن هذا يقلل من إتصالاتهم وعلاقاتهم مع بقية أفراد المجتمع. وفي نفس السياق، قام مان وهوفمان Man et Hoffman (1960)، بدراسة حول مدى تأثير دوريات العمل على العلاقات بين الأصدقاء بمركزين للكهرباء أحدهما قديم والآخر جديد، فتوصلا إلى أن 48 ٪ من العمال العاديين في المركز القديم أقاموا علاقات مع غيرهم مرة في الأسبوع على الأقل، مقابل

34٪ من عمال الدوريات. أما في المركز الجديد فإن نفس الإجابة قدمها 41٪ من العمال العاديين مقابل 64٪ من عمال الدوريات.

لا يقتصر تأثير الدوريات على تشكيل العلاقات الودية مع أفراد المجتمع، بل يتعداه ليشمل مشاكل أخرى تتمثل أساسا في صعوبة الإشتراك في التجمعات السياسية والنوادي الترفيهية ومختلف النشاطات الرياضية والثقافية سيّما تولي مهام المسؤولية فيها، لأن كل هذه التنظيمات عادة ما تقوم على الوتيرة المنتظمة (إيقاع منتظم) بدلا من الدوران غير المنتظم. وحتى المساهمة في الحياة الإجتماعية داخل المؤسسة قد تكون صعبة هي الأخرى، كما هو الحال بالنسبة للإجتماعات النقابية ونشاطات مختلف اللجان العمالية. أضف إلى هذا أن العمال غالبا ما يحرمون من بعض الإمتيازات كحلقات التكوين والتدريب وفرص الترقية وتولي مناصب المسؤولية أو متابعة أي نوع من التكوين أو الدروس الليلية...إلخ. وهذا ما يجعلهم يحسون بالعزلة وكأنهم يعيشون على هامش المجتمع. الأمر الذي جعل بعض الباحثين يصف وضعيتهم وما يتخبطون فيه من مشاكل وصعوبات بالموت الإجتماعي (social death). وقد إزدادت هذه المتاعب نظرا لما أدخل من تغييرات وتعقيدات على الحياة الإقتصادية والإجتماعية والثقافية. وعادة ما يكون العمال الأصغر والأكبر عرضة لها من غيرهم.

ولعل نمو شعور العمال بالدوريات بالعيش على هامش الجماعات التي يحاولون الإنتماء إليها، هو ما أدى بأكثرهم إلى تفادي هذه المواقف. وهذا بإقدامهم على نشاطات ترفيهية فردية مركزة في المنزل مما هي متجهة نحو الإتصال بالجماعات (موريس ومنتايل، Maurice،1965 et Monteil). هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فهناك العمال بالدوريات الذين حتى وإن كانت لديهم أوقات فراغ مناسبة قد لا ينفقونها في الترفيه والنشاطات الإجتماعية، بل يستغلونها في القيام بنشاطات تجارية أو ممارسة أعمال موازية مأجورة، الأمر الذي يدفعهم إلى تقبل نظام العمل بالدوريات، خاصة عندما تكون هذه الأخيرة ثابتة (موت وجماعته، Mott et al، 1965، مونتايلMonteil).

يرى فري Foret (1967)، أن الدافع وراء إختيار العمل الليلي كثيرا ما يكون مرتبط بممارسة أعمال ثانوية. كأن يقوم العمال المنحدرون من أصل ريفي بإستغلال أراضيهم موازاة مع الأعمال المأجورة. كما توصل غورين ودورماير Gurin et Durmeyer (1973)، إلى أنه إذا إحتاج العامل إلى تحسين ميزانيته، فإنه يفضل القيام بعمل إضافي بدلا من قبول عمل الزوجة تقديرا للدور الذي يلعبه وجود الزوجة في المنزل وإعتبارها كعنصر توازن وضبط للحياة الأسرية من شأنه تعويض الإختلال الذي يحدثه العمل بنظام الدوريات في الإيقاع بين الحياة المهنية والحياة

الأسرية والإجتماعية.

توجد عوامل خارجية أخرى يمكنها أن تقلل أو تزيد من عزلة العمال بالدوريات كتوفر النقل والمطاعم والمحلات التجارية في مختلف الأوقات. إذ أنه كلما تماشت وتيرة هذه المصالح مع الوضع الذي يفرضه العمل بالدوريات، كلما خفف هذا من الشعور بالعزلة الإجتماعية لدى العمال. لقد أشار بلاكلوك (1960)، إلى مدينة صغيرة في بريطانيا كان العمل الليلي بها مقبولا أكثر لدى العمال لأنه كان سائدا لدى معظم السكان، في حين لا حظ شازلات (1973) Chazalette، أنه يحدث العكس في المناطق التي يكون فيها العمل الليلي بمثابة حالة إستثنائية أو حديث العهد.

وقد يجد العامل أن أثر العمل بالدوريات على الحياة الإجتماعية أشد بكثير من أثرها على الحياة العائلية، وهذا لإستحالة إدخال أية تعديلات في أغلب الأحيان على العمل بالدوريات. يرى مان (1960) Mann، أنه يمكن تجنب هذه الإضطرابات في الحياة الإجتماعية لعمال الدوريات عن طريق تشكيل مدن صغيرة حول المصانع خصيصا لهؤلاء العمال، مما ساعد في ملاحظة إنخفاض عدد الشكاوي في ما يسمى بمدن عمال الدوريات بسبب تشابه وتقارب أغلبية سكانها وتكييفها لحياتهم المهنية والإجتماعية. حيث تبرمج أوقات الترفيه والتسلية فيها حسب مواقيت الدوريات المختلفة. كما يجد فيها العمال كل ما تتطلبه الحياة الإجتماعية العادية.

لقد عمل هذا الإجراء على التخفيف من شدة الإضطرابات وعلى التسهيل من عملية التكيف مع المحيط الإجتماعي (موريس، 1976 ،Maurice). وبالفعل قد يكون هذا الحل صائبا إلى حد ما سيّما إذا تعلق الأمر ببعض المؤسسات الكبرى، كما هو الشأن مع مركبات إستخراج البترول وتكريره...إلخ. لكنه يبقى محدود الفعالية لأنه يصعب جدا أن تخصص مؤسسات مدنا لعمال الدوريات، كما قد يساهم مثل هذا الإجراء في الحد من حرية العمال في إختيار نوع السكن ومنطقة تواجده وحتى بيئته الإجتماعية...إلخ.

قائمة المراجع:

1. Association Nationale des Conditions de Travail (ANACT), (1986), Travail posté, travail de nuit et sommeil, Laboratoire de physiologie de travail et d'ergonomie, Paris.
2. Blakelock, E.A., (1960), A new look at the new leissure, Administrative Science Quarterly, 4, 446-467.
3. Brown, H., (1957), Day and night and three-shift working, Personnel management, vol.39, 150-156.
4. Carpentier, J., & Cazamian, P., (1977), Le travail de nuit, BIT, Geneve.
5. Chazalette, A., (1973), Etude sur les conséquences du travail en équipes alternantes et leurs facteurs explicatifs, Groupe de sociologie urbaine, Lion.
6. De la Mare, G., and Walker, J., (1968), Factors influencing the choice of shift rotation, Occup. Psychol., 42, 1-21.
7. Foret, G., (1973), Sommeil et horaires de travail irreguliers, Thèse doct., Lille, France.
8. Man, F.C., & Hoffman, L.R., (1960), Automation and the worker, Holt, Rimehart & Winston, New York.
9. Mann, A.J., Contribution to conference on ergonomics in industry, H.M.S.O., London.
10. Maurice, M., and Montreil, C., (1965), Vie quotidienne et horaires de travail,Université de Paris, Institut des Sciences Sociales du Travail, Paris.
11. McDonald, N., and Doyle, M., (1981), Shift work and

stress, In : The stress of work, Thomas Nelson & Sons Ltd, England.
12. Mott, P.E., Mann, F.C., McLoughlin, Q., and Warwick, D.P., (1965), Shift work : the social, psychological and physical consequences, University of Mechigan Press, Ann Arbor.